7 - هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا ا والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب .

- 8 - ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

- 9 - ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن ا لا يخلف الميعاد .

يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات { هن أم الكتاب } أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس ولهذا قال تعالى : { هن أم الكتاب } أي أصله الذي يرجع إليه عند الإشتباه { وأخر متشابهات } أي تحتمل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه فقال ابن عباس : المحكمات ناسخة وحلاله وحرامه وحدوده وأحكامه وما يؤمر به ويعمل به . وقال يحيى بن يعمر : الفرائض والأمر والنهي والحلال والحرام وقال سعيد بن جبير : { هن أم الكتاب } لأنهن مكتوبات في جميع الكتب وقال مقاتل : لأنه ليس من أهل دين إلا يرضى بهن . وقيل في المتشابهات : المنسوخة والمقدم والمؤخر والأمثال فيه والأقسام وما يؤمن به ولا يعمل به روي عن ابن عباس وقيل : هي الحروف المقطعة في أوائل السور قاله مقاتل بن حيان وعن مجاهد : المتشابهات يصدق بعضها بعضا وهذا إنما هو في تفسير قوله : { كتابا متشابها مثاني } هناك ذكروا أن المتشابه هو الكلام الذي يكون في سياق واحد والمثاني هو الكلام في شيئين متقابلين كصفة الجنة وصفة النار وذكر حال الأبرار وحال الفجار ونحو ذلك وأما ها هنا فالمتشابه هو الذي يقابل المحكم وأحسن ما قيل فيه هو الذي قدمنا وهو الذي نص عليه ابن يسار C حيث قال : { منه آيات محكمات } فهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم الباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه قال : والمتشابهات في الصدق ليس لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى ا فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام ألا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق .

ولهذا قال ا تعالى : { فأما الذين في قلوبهم زيغ } أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل { فيتبعون ما تشابه منه } أي إنما يأخذون منه المتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه . فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه

لأنه دامغ لهم وحجة عليهم ولهذا قال ا تعالى : { ابتغاء الفتنة } أي الإضلال لأتباعهم إيهاما لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح ا وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وتركوا الإحجاج بقول : { إن هو إلا عبد أنعمنا عليه } وبقول : { إن مثل عيسى عند ا كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون } وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات ا وعبد ورسول من رسل ا .

وقوله تعالى : { وابتغاء تأويله } أي تحريفه على ما يريدون وقال مقاتل والسدي : يبتغون أن يعلمون ما يكون وما عواقب الأشياء من القرآن وقد قال الإمام أحمد عن عائشة Bها قالت : قرأ رسول ا صلى ا عليه وسلّم : { هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات } إلى قوله : { أولو الألباب } فقال : " إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى ا فاحذروهم " . وقد روى هذا الحديث البخاري عند تفسير هذه الآية ومسلم في كتاب القدر من صحيحه وأبو داود في السنة من سننه ثلاثتهم عن القاسم بن محمد عن عائشة Bها قالت : تلا رسول ا صلى ا عليه وسلّم هذه الآية : { هو الذي أنزل عليك التاب منه آيات محكمات } إلى قوله : { وما يذكر إلا أولو الألباب } قالت : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى ا فاحذروهم " .

وروى أحمد عن أبي أمامة عن النبي صلى ا عليه وسلّم في قوله تعالى : { فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه } قال : " هم الخوارج " وفي قوله تعالى : { يوم تبيض وجوه وتسود وجوه } قال : " هم الخوارج " وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفا من كلام الصحابي ومعناه صحيح فإن أول بدعة وقعت في الإسلام فتنة الخوارج وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين قسم النبي صلى ا عليه وسلّم (غنائم حنين) فكأنهم رأوا - في عقولهم الفاسدة - أنه لم يعدل في القسمة ففاجأوه بهذه المقالة فقال قائلهم وهو (ذو الخويصرة) - بقر ا خاصرته - إعدل فإنك لم تعدل فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " لقد خبت وخسرت . إن لم أكن أعدل أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني " فلما قفا الرجل استأذن عمر بن الخطاب في قتله فقال : " دعه فإنه يخرج من ضئضىء هذا - أي من جنسه - قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وقراءته مع قراءتهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم " . ثم كان ظهورهم أيام (علي بن أبي طالب) Bه وقتلهم بالنهروان ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل وآراء وأهواء ومقالات ونحل كثيرة منتشرة ثم انبعثت القدرية ثم المعتزلة ثم الجهمية وغير ذلك من البدع التي أخبر عنها الصادق المصدوق صلى ا عليه وسلّم في قوله : " وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في

النار إلا واحدة " قالو : ومن يا رسول ا ؟ قال : " من كان على ما أنا عليه وأصحابي " أخرجه الحاكم في مستدركه بهذه الزيادة .

وروى الحافظ أبو يعلى عن حذيفة عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم أنه ذكر : " إن في أمتي قوما يقرؤون القرآن ينثرونه نثر الدقل (أردأ التمر) يتأولونه على غير تأويله " .

وقوله تعالى : { وما يعلم تأويله إلا ا } اختلف القراء في الوقف ههنا فقيل على الجلالة كما تقدم عن ابن عباس Bه أنه قال : التفسير على أربعة أنحاء فتفسير لا يعذر أحد في فهمه وتفسير تعرفه العرب من لغاتها وتفسير يعلمه الراسخون في العلم وتفسير لا يعلمه إلا ا وقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فآمنوا به " وقال عبد الرزاق : كان ابن عباس يقرأ : (وما يعلم تأويله إلا ا ويقول الراسخون آمنا به) وكذا رواه ابن جرير عن عمر بن عبد العزيز ومالك ابن أنس أنهم يؤمنون به ولا يعلمون تأويله وحكى ابن جرير أن في قراءة عبد ا بن مسعود : (إن تأويله إلا عند ا والراسخون في العلم يقولن آمنا به) واختار ابن جرير هذا القول .

ومنهم من يقف على قوله تعالى : { والراسخون في العلم } وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول وقالوا الخطاب بما لا يفهم بعيد وقد روى مجاهد عن ابن عباس أنه قال : أنا من الراسخين الذي يعلمون تأويله وقال مجاهد : والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به وكذا قال الربيع بن أنس وقال محمد بن جعفر بن الزبير : وما يعلم تأويله الذي أراد ما أراد إلا ا والراسخون في العلم يقولون آمنا به ثم ردوا تأويل المتشابهات على ما عرفوا من تأويل المحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد فاتسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضا فنفذت الحجة وظهر به العذر وزاح به الباطل ودفع به الكفر وفي الحديث أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم دعا لابن عباس فقال : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " . ومن العلماء من فصل في هذا المقام وقال : التأويل يطلق ويراد به في لقرآن معنيان أحدهما : التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه ومنه قوله تعالى : { وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل } وقوله : { هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله } أي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد . فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا ا D ويكون قوله { والراسخون في العلم } مبتدأ و { يقولون آمنا به } خبره . وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر : وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله : { نبئنا بتأويله } أي بتفسيره فإن أريد به هذا المعنى فالوقف على { والراسخون في العلم } لأنهم يعلون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار وإن لم يحيطوا علما بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه وعلى هذا فيكون قوله : { يقولون آمنا

به } حالا منهم وساغ هذا وإن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه كقوله : { للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - إلى قوله - يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا } الآية وقوله تعالى : { وجاء ربك والملك صفا صفا } أي وجاء الملائكة صفوفا صفوفا .

وقوله تعالى - إخبارا عنهم - أنهم يقولون آمنا به أي المتاشبه { كل من عند ربنا } أي الجميع من المحكم والمتشابه حق وصدق وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له لأن الجميع من عند ا وليس شيء من عند ا بمختلف ولا متضاد كقوله : { أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير ا لوجدوا فيه اختلافا كبيرا } ولهذا قال تعالى : { وما يذكر إلا أولو الألباب } أي إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولو العقول السليمة والفهوم المستقيمة وقد قال ابن أبي حاتم بسنده : حدثنا عبد ا بن يزيد - وكان قد أدرك أصحاب النبي صلى ا عليه وسلّم أنسا وأبا أمامة وأبا الدرداء - أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم سئل عن الراسخين في العلم فقال : " من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخون في العلم " وقال الإمام أحمد بسنده : سمع رسول ا صلى ا عليه وسلّم قوما يتدارؤن فقال : " إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب ا بعضه ببعض وإنما أنزل كتاب ا ليصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعذه ببعض . فما علمتم منه فقولوا به وما جهلتم فكلوه إلى عالمه " .

وعن أبي هريرة أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : " نزل القرآن على سبعة أحرف والمراء في القرآن كفر - قالها ثلاثا - ما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه جل جلاله " (رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده) وقال ابن المنذر في تفسيره عن نافع بن يزيد قال : الراسخون في العلم المتواضعون المتذللون في مرضاته لا يتعاظمون على من فوقهم ولا يحقرون من دونهم . ثم قال تعالى عنهم مخبرا أنهم دعوا ربهم قائلين : { ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا } أي لا تملها عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ الذين يتبعون ما تشابه من القرآن ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم ودينك القويم . { وهب لنا من لدنك رحمة } تثبت بها قلوبنا وتجمع بها شملنا وتزيدنا بها إيمانا وإيقانا { إنك أنت الوهاب } عن أم سلمة أن النبي A كان يقول : " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " ثم قرأ : { ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب } (رواه ابن أبي حاتم عن أم سلمة) وعن أم سلمة عن أسماء بنت يزيد بن السكن سمعتها تحدث أن رسول ا A كان يكثر من دعائه : " اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " قالت قلت يا رسول ا وإن القلب ليتقلب ؟ قال : " نعم ما خلق ا من بني آدم من بشر إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع ا D فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه " (رواه ابن

مردويه وابن جرير) . قلت : يا رسول ا ألا تعلمني دعوة أدعو به لنفسي قال : " بلى قولي : اللهم رب محمد النبي اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرين من مضلات الفتن " .

وعن عائشة Bها قالت : كان رسول ا A كثيرا ما يدعو : " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " قلت : يا رسول ا ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء فقال : " ليس من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن إذا شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيغه أزاغه . أما تسمعي قوله : { ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب } " (رواه ابن مردويه قال ابن كثير : وأصله في الصحيحين) وعن سعيد بن المسيب عن عائشة Bها : أن رسول ا A كان إذا استيقظ من الليل قال : " لا إله إلا أنت سبحانك أستغفرك لذنبي واسألك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة . إنك أنت الوهاب " (رواه أبو داود والنسائي) .

وقوله تعالى : { ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه } أي يقولون من دعائهم إنك يا ربنا ستجمع بين خلقك يوم معادهم وتفصل بينهم وتحكم فيهم فيما اختلفوا فيه وتجزي كلا بعمله وما كان عليه في الدنيا من خير وشر